مقدمة

فى أوائل القرن ، أجرى فى بريطانيا استطلاع للرأى العام على ٢١٥ مدينة لها صفة العالمية ، التقويم قام على أساس معايير كثيرة أهمها المناخ السياسى والاقتصادى والطبيعى والبيئة الاجتماعية ، والثقافية والرعاية الصحية والاسكان والنقل والتسوق .

ومن الطبيعى أن تأتى بعض المدن الافريقية فى ذيل القائمة ومن ثم فإن احتلال مدينة « برازافيل » فى الكونغو الترتيب الأخير لم يكن مفاجأة إنما المفاجأة فى احتلال مدينة من أشهر مدن العالم إن لم تكن أشهرها ونعنى بها « نيويورك » التى يقبع على بابها تمثال الحرية الشهير . المركز الواحد والأربعون مع أن هذه المدينة تعتبر نفسها رمزا للحرية فى العالم وقبلة كل الأحرار ويكفى أن تقرأ الشعار المكتوب على قاعدة تمثال الحرية عبارة تقول :

أعطونى فقراءكم ، والمكدودين منكم ، وجموعكم المهضومة الحقوق ، المتحرقة لنسيم الحرية ، أعطونى الفائض الملفوظ الذى يموج على شواطئكم، ابعثوا بهؤلاء المشردين الضائعين ومن أطاحت بهم العاصفة ، ابعثوا بهم اليّ .

وكل محب للأسفار لابد أنه قد زار مدينة نيويورك وإن كانت أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ قد جعلت البعض يتهيب هذه المدينة ، أو بالأحرى بوليسها ومخابراتها وناسها التى تخلخلت سلوكياتها تلك الأحداث الدامية التى أطاحت بكل القوانين والأعراف والقواعد التى كانوا يتعاملون بها مع الزائرين فكان على هؤلاء المحبين أن يفكروا فى تغيير وجهتهم السياحية .

فإذا كان بلد تمثال الحرية الذى ينادى على الفقراء والمكدودين قد أوصد بابه أمام القادمين ، فلابد أن يفكر السائحون فى البديل .

إن الاستطلاع الانجليزى قد قدم هذا البديل فى المدينة صاحبة المركز المتقدم بين ٢١٥ مدينة فقد فازت مدينة « فيينا » عاصمة النمسا بالمركز الثانى مناصفة مع إحدى المدن الكندية وهى « فانكوفر » عاصمة مقاطعة « كولومبيا البريطانية » على ساحل المحيط الهادئ .

ولمدينة « فيينا » مكانة فى وجدان كل عربى . فأغنية « ليالى الأنس فى فيينا » قد نشرت بين الناس إنها المدينة الفاضلة والأقرب إليها كما فى خيال فيلسوف العقل والوجدان أفلاطون .. كتبها الشاعر أحمد رامى ولحنها الموسيقار فريد الاطرش وغنتها اسمهان فى فيلم «غرام وانتقام» الذى أخرجه يوسف وهبى ومنذ عرض الفيلم وقد أصبحت الأغنية ضرباً من الفلكلور يرددها كل من يتكلم العربية وتغير اسم مدينة « فيينا » وتحول إلى اسم جملة هى « ليالى الأنس فى فيينا » وكنت أود لو أضيف إلى هذه الجملة اسماً معطوفاً على « فيينا » هو « سالزبورج » تلك المدينة التاريخية التى تقع فى قلب أوروبا القارة المضيئة الرقيقة.« سالزبورج » مركز للحضارة والفن منذ أن ولد فيها الموسيقار الرقيق العميق « موتسارت » صاحب الموسيقى القريبة من وجدان المستمع العربى والشرقى .

وليست « فانكوفر » هى المدينة الوحيدة التى تحظى بالمركز المهم سياسيا ، اجتماعيا ، بيئيا ، فكل المدن الكندية نموذجية من كل شئ ، ولو قومناها على الأسس نفسها فلن تكون أقل من « فانكوفر »، ويكفى أننى حققت حلما غاليا لى ظل يعيش معى زمناً وهو الدخول إلى عالم الهنود الحمر الذين تضرب عليهم دول شمال أمريكا تعتيماً كبيراً فلا يتساوون حتى مع السكان الأصلين فى نيوزيلندا أو استراليا .

هذا الكتاب زيارة لأشهر المدن التى حققت مراكز متقدمة فى الاستطلاع الانجليزى. وكل مدينة منها لها مذاق خاص ، لها طعم و لون .

محمد قابيل